كأنهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما داموا على الريح تحملهم في الهواء لا يخاف النمل حطمهم المشاة
الذين يعبرون عما في ضمايرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا
فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع
بين العقلاء المتناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة
الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى
فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الشياطين والريح والطير لسليمان عليه السلام وجميع
ذلك جنوده واعوانا منقادين له لا يخالفونه في شيء مما امرهم به وذلك لا يكون الا
بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق
في النملة وقد روي ان سليمان لما سمع قول النملة قال ايتوني بها فاتوها فقال لم حذرت
النمل ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما
سمعت قولي وهم لا يشعرون ومع ذلك اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب
وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا نعم الله تعالى عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا
في كفران النعم فلا اقل من ان لا يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظيني
فقالت النملة اعلمت لم سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدري
لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح
قال لا قالت ليخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها كأنما اعتمد على الريح
وقوله وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبي معصوم فلا يقع منه قتل واذا بغير
ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظ نملة في قوله
قالت نملة مؤنث حقيقي من قبيل الحروف علامة التانيث فعلها لان نملة يطلق على الذكر والانثى
فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية
ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله
حاضرا وهو غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم
فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى
قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى
فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى
والتاء فيها لا يعتبر في الحروف علامة التانيث بل الفصل بين الجنس والواحد فلا يجوز قامت طلحة ولا حمزة على ذكر
فتعين ان يكون التأنيث هنا للتأنيث المعنوي قوله نهي لهم عن الحطم يعني ان النهي في لا يحطمنكم متوجه الى

الى سليمان وجنوده ظاهر الآية انه في المعنى كناية عن نهي النمل عن التوقف في مكانهم فيحطمهم سليمان
وجنوده كان النهي في لا اريتك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهي المخاطب
عن التخاطب في الوقوف في مكانه حيث يراه المتكلم فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل
النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله فهو استئناف او بدل من الامر متفرع جواز
كل واحد من الامرين على كون النهي المذكور كناية عن نهي النمل عن التوقف لانه لو كان الامر على ظاهره
لما جاز كون لا يحطمنكم بدلا عن قوله ادخلوا لان نهي الحطام لا يجوز ان يكون بدلا عن الامر بالدخول
اخرى بخلاف ما لو جعل كناية عن نهي فان المامور والمنهي حينئذ يكون جماعة النمل فيصح البدلية
ومعنى كلامه انه لما كان نهي الجنود عن الحطم كناية عن نهي النمل عن التوقف جاز ان يكون
لا يحطمنكم نهيا مستأنفا لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله
وهي ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد
من الامرين قوله وقيل استئناف عطف على ما فهم من تعبير كلامه ان قوله وهم لا يشعرون حال
من فاعل لا يحطمنكم قوله تعالى فتبسم ضاحكا ليس معناه انه عليه السلام ضحك متبسما لان
التبسم والضحك لا يجتمعان بل اراد انه بالغ في تبسمه حتى بلغ به حد الضحك الذي هو من مراتب الضحك فكأنه
قيل فتبسم شارعا في الضحك اخذا فيه قوله ولذلك اي ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة
التي هي سماعه ما همس به بعض الشكل الذي هو مثل في الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس
لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه قوله اجعلني ازع شكر نعمتك اشارة
الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع من التفرق والانتشار يقال
وزعته ازعه وزعا كففته والوازع الذي يكف الجيش عن التفرق والانتشار ويكف الرعية
عن التظالم والفساد وقد مر آنفا ان قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبس اولهم ويمنعون عن
الانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم فانه احسن في الهيئة واهيب في الرؤية سأل الله تعالى وازعا
لجيش شكره فيكون قوله او زعني ان اشكر استعارة بالكناية حيث شبه الشكر بالجماعة التي من
وصل بعليه الوزع والربط بتخييلا وقرينة للتشبيه المضمر في النفس وورد في الحديث النعمة
وحشية قيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت قوله ادرج فيه ذكر والديه
انما ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه قوله فان النعمة عليه
ضرورة ان انتساب الابن الى ابيه شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيكون ذلك النعمة واصلة
منه تعالى الى الابن قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية فان الابن اذا كان تقيا
نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك

Copyright © King Saud University